الافتتاحية

دار الآثار الإسلامية

«الدار» اسم له مغزاه، و «حديث الدار» دورية سنوية تصدرها الشيخة حصة الصباح، تضم مجموعة من الأبحاث، التي تلقى في دار الآثار الإسلامية بالكويت. ولعلي هنا، اختار ما جاء عنها: تسعى دار الآثار الإسلامية إلى تعريف القارئ بالثقافة الإسلامية، وما تتميز به من فن راقٍ، وذوقٍ رفيعٍ، وجمالٍ أخّاذٍ؛ يتجلى في مجموعة الصباح الواسعة والشاملة لأنواع وأنماط الفن الإسلامي. تشتمل مجموعة الصباح على مقتنيات يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من صدر الإسلام وحتى القرن الثاني عشر الهجري، وقد جرى تصنيفها وترتيبها تبعًا للفترة التاريخية التي تعود إليها، والموقع الجغرافي الذي تنتمي إليه، كما رعت دار الآثار الإسلامية عمليات التنقيب الأثري في مدينة البهنسا، والتي تعود إلى العصر الفاطمي، فضلاً عن حفريات في منطقة راية بطور سيناء، للكشف عن طريق التوابل القديم.

تقوم دار الآثار الإسلامية سنويًا ضمن موسمها الثقافي باستضافة باحثين وعلماء بارزين من ذوي التخصصات الرفيعة، لإلقاء محاضرات حول موضوعات متنوعة عن الفن الإسلامي والآثار والهندسة المعمارية، وغيرها من الموضوعات التي تستقطب اهتمام المؤرخين والمتخصصين والمهتمين.

أما مكتبة الدار فهي تضم مراجع ومطبوعات وكتب ذات صلة وثيقة بالآثار.

بدأت دار الآثار الإسلامية منذ العام ١٩٨٣م، كمؤسسة محلية، تعنى بتحف مجموعة الصباح التي تمت إعارتها للحكومة الكويتية، لتصبح مؤسسة ثقافية لها شهرة عالمية. وهي تهدف إلى إشراك الجمهور وأصدقاء الدار حول العالم، والمهتمين بالفن الإسلامي، بمختلف الأنشطة الفكرية والفنية، المتعلقة بهذه المجموعة. إن هذه المجموعة تمثّل فناً راقياً، ولها دلالاتها في الفن الإسلامي على مدى العصور الإسلامية، وقد أتيحت لي فرصة رؤيتها؛ فابهرتني، وقلت وقتها للشيخة حصة:

هل فكّرتم كيف يمكن إنقاذ هذه التحف، فيما لو لا قدر الله حدث غزو للكويت؟ فاندهشت الشيخة وقتها من هذا السؤال! وجاء غزو الكويت؛ فتذكرتُ سؤالي لها، ولا أدري إذا كانت الشيخة حصة قد تذكرت هي أيضاً ذلك السؤال..

ولكن مَن سيطروا حينذاك على المتحف، كانوا مُقدّرين لهذه المجموعة حق قدرها؛ فلم يمسوها بسوء، وقد أعادوها إلى الكويت، كما كانت. والحمد لله أولاً وآخرًا.

***

سقيفة بني ساعدة

إن الدور التاريخي الذي شهدته السقيفة كان له أثره الحضاري، وكان بداية لمرحلة من مراحل التاريخ بعد وفاة الرسول، صلى الله عليه وسلم؛ إذ وضع قواعد اختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا، فإن الاهتمام بهذا المرفق العظيم يباري أي مرفق آخر، كان له دور في تاريخ الحضارة الإسلامية.

إذ شهدت السقيفة انطلاقة الخلافة الإسلامية، وشهدت بداية الفتوحات التي اتجهت شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا. ولعل أهم ما شهدته السقيفة إعلان انطلاق حروب الردة، التي ذهبت فيها أرواح عدد من المهاجرين والأنصار فداءً لأول حربٍ، يرونها محدقة بالإسلام، ولها نوايا وأبعاد كادت أن تضرب الإسلام في جذوره، ولكن الله سلّم، وبقيت جذور الإسلام ثابتة بعودة القبائل العربية طواعية لدين الله أفواجًا، واشترك هؤلاء العائدون لحضيرة الإسلام في فتوح الشام، والعراق، ومصر، وأسسوا حضارة، استطاعت أن تُقدِّم للبشرية حضارة تفوق حضارة الفرس والبيزنطيين، ما نزال نفخر بها.

وإذا كانت السقيفة محور بناء الدولة الإسلامية، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإننا نجد أن دَينًا في أعناقنا لهذا المكان، ونجد لزامًا علينا أن نجعل هذا المكان معلمًا تاريخيًا له من المكانة ما له؛ ومن ثَمّ، نفخر بأننا حافظنا على تراث تركه لنا الأجداد مهاجرينَ وأنصاراً؛ كيف لا، وقد كان بذرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء؛ إذ أخرجت لنا هذه البوتقة أبابكر الصديق،

وعمر بن الخطاب، وأبوعبيدة عامر بن الجراح، وغيرهم من الصحابة الذين نافحوا عن بذرة الإسلام، واستطاعوا أن يُقَوِّموا ما أعْوجّ من آراء، كادت أن تسقط هذا الجمع، لولا أن مَنّ الله عليهم برؤية صائبة، وآراء تجاوزت الخلاف، ووأدت الفُرقة بين الصحابة، وجمعت الكلمة على مبايعة أبا بكر الصديق خليفة للمسلمين.

وبمناسبة الاحتفال بالمدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية، فإنني آمل من أمير المدينة المنورة، صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز، حفظه الله، أن يتبنّى موقع السقيفة، وذلك بإقامة معلم تاريخي يكون له دوره في حضارة المملكة العربية السعودية التي نعيشها، ولا أشك في أن خادم الحرمين الشريفين سيزهو بهذا العمل، ويفخر به، كما يفخر بالحرمين الشريفين أطال الله في عمره، ووفقه إلى ما فيه صلاح أمتنا.

***

أ. د. صفوان التل في ذمة الله

فقدت الأسرة الآثارية في العالم العربي، واحداً من أعلامها، الذين عملوا بإخلاص وتفان وقدموا الكثير في مجال الآثار. وقد علمت متأخراً بوفاة صديقي الأستاذ الدكتور صفوان خلف التل الذي وافته المنية في شهر أكتوبر ٢٠١٢م، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة الأردنية لفترة طويلة، ومدير عام دائرة الآثار العامة بالمملكة الأردنية الهاشمية (١٩٩١-١٩٩٤م). التقيته مرات عديدة، وتحاورنا في كثير من قضايا الآثار في العالم العربي، وهموم الآثاريين العرب. كان رحمه الله صديقا حميماً، عفّ اللسان، طيب المعشر، واسع العلم والاطلاع.

يعد الفقيد علامة في تخصصه، وقد ترك للمكتبة العربية العديد من المؤلفات والدراسات العلمية في مجال الآثار، وأسهم في الكشف عن الكثير من المواقع الأثرية في الأردن. نسأل الله له الرحمة وأن يسكنه فسيح جناته.

رئيس هيئة التحرير